مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

فلسفة فن الخط العربي: دراسة في المقومات والتمثلات الجمالية

محمد الطاهري

دكتوراه في الفكر الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب

medtahirinet@gmail.com

المستخلص

يسعى هذا البحث إلى دراسة التنوع الكبير في أنواع الخط العربي، وبيان مقوماته الجمالية، عبر تحليل وإبراز الخصائص والأبعاد الفنية التي تميز هذا الفن عن غيره، والتي جعلته في طليعة الفنون البصرية ذات الطابع الروحي والحضاري.

ويطرح البحث إشكالية يلخصها السؤال الآتي: هل الخط العربي مجرد تنوعات شكلية، أم إنه نظام جمالي دقيق يعكس روح الحضارة الإسلامية وعبقرية فنانيها؟

ينطلق البحث تبعا لذلك من فرضية مفادها أن تنوع الخطوط العربية لا يعبر فقط عن اختلاف في الشكل أو الأسلوب، بل يمثل تطورًا إبداعياً وتجريباً بصريّاً غنيّاً له أسس هندسية وروحية، مما جعل الخط العربي يتجاوز ضيق الاقتصار على الوظيفية إلى سعة أفق الجمالية الرمزية والتعبير الفني الراقي.

ويعتمد البحث مقاربة وصفية تحليلية تتناول نشأة الخطوط، وأبرز أنواعها، وخصائصها الفنية، بالإضافة إلى الأبعاد الجمالية الكامنة وراء هندستها، كما يستند إلى نماذج بصرية وتحليلية من التراث الخطي العربي، لبيان إسهام هذه الخصائص في ترسيخ الخط العربي كفنٍ مميز ذي طابع روحاني ومعرفي وجمالي.

الكلمات المفتاحية

الخط العربي، فلسفة، جمالية.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/١٠/١٣ تاريخ القبول: ٢٠ / ١٢ /٢٠٢٥ تاريخ النشر: أذار /٢٠٢٦

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

The Philosophy of Arabic Calligraphy: A Study of Its Aesthetic Foundations and Representations

Muhammad Al-Taheri

PhD in Islamic Thought, Faculty of Arts and Humanities, Mohammed I University, Oujda, Morocco.

medtahirinet@gmail.com

Abstract

This study seeks to explore the remarkable diversity of Arabic calligraphy styles and to highlight its aesthetic foundations by analyzing and showcasing the artistic and visual characteristics that distinguish this art form from others. These features have positioned Arabic calligraphy at the forefront of visual arts with a deep spiritual and cultural dimension.

The research addresses a central question: *Is Arabic calligraphy merely a set of stylistic variations, or is it a refined aesthetic system that reflects the spirit of Islamic civilization and the genius of its artists?*

Accordingly, the study is based on the hypothesis that the diversity of Arabic scripts is not merely a matter of visual difference or stylistic choice, but rather represents a rich creative evolution and visual experimentation grounded in geometric and spiritual principles. This has enabled Arabic calligraphy to transcend its functional role and embrace the realm of symbolic beauty and elevated artistic expression.

The study adopts a descriptive-analytical approach that examines the origins of Arabic scripts, their most prominent styles, and their artistic features. It also explores the underlying aesthetic dimensions behind their structural design, drawing on visual and analytical examples from the Arabic calligraphic heritage to demonstrate how these elements contribute to establishing Arabic calligraphy as a distinctive art form with spiritual, intellectual, and aesthetic significance

Keywords
Arabic Calligraphy, Philosophy, Aesthetics

Received: 13/10/ 2025 Accepted: 20 /12 /2025 Published: March /2026

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

مقدمة

يسعى هذا البحث إلى دراسة التنوع الكبير في أنواع الخط العربي، وبيان مقوماته الجمالية، عبر تحليل وإبراز الخصائص والأبعاد الفنية التي تميز هذا الفن عن غيره، والتي جعلته في طليعة الفنون البصرية ذات الطابع الروحي والحضاري.

ويطرح البحث إشكالية يلخصها السؤال الآتي: هل الخط العربي مجرد تنوعات شكلية، أم إنه نظام جمالي دقيق يعكس روح الحضارة الإسلامية وعبقرية فنانيها؟

ينطلق البحث تبعا لذلك من فرضية مفادها أن تنوع الخطوط العربية لا يعبر فقط عن اختلاف في الشكل أو الأسلوب، بل يمثل تطورًا إبداعياً وتجريباً بصريّاً غنيّاً له أسس هندسية وروحية، مما جعل الخط العربي يتجاوز ضيق الاقتصار على الوظيفية إلى سعة أفق الجمالية الرمزية والتعبير الفني الراقي.

ويعتمد البحث مقاربة وصفية تحليلية تتناول نشأة الخطوط، وأبرز أنواعها، وخصائصها الفنية، بالإضافة إلى الأبعاد الجمالية الكامنة وراء هندستها، كما يستند إلى نماذج بصرية وتحليلية من التراث الخطي العربي، لبيان إسهام هذه الخصائص في ترسيخ الخط العربي كفنٍّ مميز ذي طابع روحاني ومعرفي وجمالي.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الأول: الخط العربي.. الأنواع والخصائص الجمالية.

المطلب الأول: أنواع الخط العربي

يرى أغلب المؤرخين أن ابن مقلة (ت. ٣٢٨هـ) كان أول من ابتدع الخط العربي، وأخذ عنه محمد بن السمساني ومحمد بن اسعد وعنهما أخذ أبو الحسن علي بن هلال، المعروف بابن البواب، ثم أكمل قواعد الخط وتممها واخترع غالب الأقلام التي أسسها ابن مقلة، ولعل من جاء بعدهم من خطاطين كثر يرجع إليهم فضل تجويد شكل الحرف العربي الذي أصبح اليوم "فنا له ما يقرب من ثمانين أسلوبا وطريقة، من أشهرها الكوفي والثلث والرقعي والفارسي والديواني.. وفروع هذه الخطوط، بل أن ابن البواب قدم في نطاق الخط الثلث فقط سبعة عشر قلما وهي: الثلث، المعتاد، المنثور، المقترن، التواقيع، المصاحف، المسلسل، الغبار، النسخ، الفضاح، الجليل، المحقق، الريحان، الرقاع، الرياشي، الحواشي، الطومار.. "(بهنسي، ١٩٧٩، ص.١٢١)، وهو نفسه (ابن مقلة) قد "وضع قواعد مفصلة ودقيقة في كيفية رسم الحروف وكتابتها ونسبها المفصلة، كما جعل لكل حرف شكلاً خاصاً وقد نسبه من حيث طوله وحجمه واتخذ حرف الألف أساساً لرسم بقية الحروف، وجعل النقطة وحدة قياس الألف"(الزهاوي، ١٩٨٦، ص. ٣).

إن تنوع الخطوط العربية وتعدد قواعدها هو نتيجة لمرونة الحروف العربية وسهولة تشكيلها، وذلك ما أتاح مجالًا واسعًا للابتكار، ودفع الخطاطين المعاصرين إلى تطوير خطوط جديدة مستوحاة من التراث الخطي الأصيل.

يصعب حصر أنواع الخطوط العربية لكثرة ما يُستحدث منها يوميًا، ويُعد الخط الكوفي مثالًا بارزًا على ذلك، إذ يتفرع إلى أشكال متعددة زمانيًا (كوفي القرن الأول والثاني والثالث) ومكانيًا (الشامي، البغدادي، الموصلي، المغربي). وقد أدهش هذا الغنى الناقد الأوروبي روبير غرينا، الذي رأى في تنوع الكوفي بعدًا تأمليًا وصوفيًا يفوق مجرد الوظيفة الكتابية، وهناك من يجرد أنواع منه بحسب أشكاله فيذكر (الكوفي البسيط، الكوفي ذو المثلثات، الكوفي المورق، الكوفي المزهر، الكوفي المضفور، الكوفي المربع، الكوفي الصوري) (عبد الحسين، ٢٠١٧)، وقد أدى دمج الخط العربي بالزخارف النباتية وتقنيات العصر إلى إبداع أعمال معمارية مبهرة، خاصة في المساجد، مما أبرز الجمال العميق للخط العربي ودعا إلى استكشاف أنواعه وتقدير تنوعه (أنظر الصورة:١).

الرقعة :خط يومي شائع لجماله وسهولته، وضع قواعده ممتاز بك في العهد العثماني.

النسخ :يستخدم في نسخ الكتب لجماله ووضوح حروفه.

الثلث :من أجمل الخطوط وأصعبها، يتميز بسُمْك حروفه ودقته الفنية.

الفارسي :خط أنيق وسهل، ظهر في بلاد فارس ويمتاز بامتداد حروفه وخلوه من التعقيد.

الديواني :استُخدم في دواوين الدولة العثمانية، ويتصف بالمرونة والحيوية.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

الكوفي :أقدم الخطوط، نشأ في الكوفة، ويتميز بتناسق أشكاله وتنوع أنواعه، مثل الكوفي المورق والهندسي.

المغربي :مشتق من الكوفي، ويشيع استخدامه في بلاد المغرب العربي.

إن تنوع الخطوط العربية دليل على حركيتها وجمالها، إضافة إلى قابليتها لموافقة أحوال مختلفة، "فالكوفي جماله في الاستقرار، والنسخي في الحركة، والجوهر في السيولة، والفارسي في الزخرفة اللؤلئية. والخط العربي بصفة عامة يرمز إلى شجرة الخليقة، فالحروف المتضامة في كلمة تشبه الغصن، والكلمة في جمل تشبه فروع الشجرة" (السائح، ١٩٨٠، بتصرف).

المطلب الثاني: خصائص الخط العربي الفنية

يزخر الخط العربي بخصائص جمالية عدة جعلته يكسب اعتراف الباحثين والمتخصصين، فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ نجد الباحث اليوناني ألكسندر بابا دوبولو يكتب بالفرنسية ما معناه: "إن الخط العربي فن رائد وأساسي، وذلك على عكس موقع الخطوط لدى العديد من الشعوب الأخرى" (السائح، ١٩٨٠، ص. ٢١٨–٢١٩)، والرسام الإسباني بيكاسو يقارن جهده في فن التصوير بما حققه الخط العربي من نتائج فيقول: "إن أقصى نقطة أردتُ الوصول إليها في فن التصوير وجدت الخط الإسلامي قد سبقني إليها منذ أمد بعيد"(السائح، ١٩٨٠، ص. ٢١٨–٢١٩).

يتميز الخط العربي اختصارا بثلاث خصائص رئيسة:

قداسته، كونه الوعاء الذي اختاره الله لحمل القرآن الكريم، مما أكسبه مكانة روحية فريدة.

وظيفته التواصلية، كونه من مكونات اللغة العربية وأداة لنقل المعاني والأفكار بعمق جمالي وبياني.

تفرده الفني بخصائص جمالية لا مثيل لها بين الخطوط الأخرى.

تمنح مرونة الحروف العربية وقدرتها على التمدد والانحناء والتشكل الهندسي الخط العربي جاذبية فنية خاصة، تلهم الفنان وتدفعه للإبداع. وقد استثمر الخطاط العربي هذه الخصائص ليبتكر أشكالًا فنية مدهشة تجسّد كائنات حية ونباتات وجمادات، بأسلوب تعبيري بصري فريد (أنظر الصورة: ٢).

– قابلية الخط للتزيين، والتجمل، والزخرفة بالحرف وبالكلمة من غير إضافات تجمله، حيث إن تواري "الألفات" مثلا، أو توزيعها بأوضاع معينة (أنظر الصورتان : ٣و٤)، وكذا باقي أنواع الحروف يعطي نوعًا من الشكل الزخرفي في العمل، وهذا يعسر في خطوط اللغات الأخرى من غير العربية وقريبا من هذا نجد في الخط العربي طواعية كبيرة تمكن الخطَّاط من عمل تراكيب وأشكال مختلفة حتى للكلمة الواحدة، أو الجملة الواحدة (أنظر الصورة : ١) .

– الاختزال والاختصار وصغر المساحة المكتوبة في صور الكتابة والحروف وفي سرعة الخط وحجمه، وذلك بفضل تنوع أشكال الحروف بحسب موقعها وتراكبها، مما يسمح بكتابة كلمات كثيرة في حيز صغير. وهذه خاصية تفتقر إليها الحروف اللاتينية ذات الشكل الثابت والمسافات الواسعة.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

– إمكانية إنشاء عمل فني باستخدام كلمة واحدة أو جملة بتوزيع الحروف بشكل زخرفي متوازن وقد طور بعض الخطاطين الخط الكوفي التربيعي فصنعوا من الجزء الممتلئ كلمة وبجزئه الفارغ كلمة أخرى (أنظر الصور: ٥، ٦، ٧).

– يمنح الخط العربي تنوعًا إيقاعيًا فنيًا من خلال مرونة الحروف وتباينها في السماكة والانسيابية، مما يسمح للخطاط بإبداع حروف نابضة بالحركة. ويبرز هذا التنوع في خصائص الخطوط المختلفة، مثل رقة وغلظة النسخ، وانحناءات الفارسي، وتراقص الديواني، وقوة الثلث (أنظر الصورة: ٨).

أما الخط الهندسي الكوفي بأنواعه فيختلف في هذه المسألة عن غيره بحيث يتميز بجماله الرياضي الدقيق، ويمنح الخطاط الماهر قدرة على التعبير بالحركة والكتلة، ليُنتج إيقاعًا بصريًا ونفسيًا متناغمًا، يجعل من اللوحة الخطية سيمفونية متجددة الجمال، ولقد انتبه بعض الباحثين لعلاقة الموسيقى بالخط فوجدوا أنه "كما بإمكان الموسيقي أن يمتطي مقام (الرصد) القوي للأعمال الكبرى أو (البيات)، وينتقي للمقاطع الحزينة مقام (الصبا) أو (الحجاز)، ولأغاني الأطفال مقام (العجم) المفرح، ولنجوى الحب يسعفه مقام (النهاوند) الناعم للتعبير عمّا يجيش في صدره من عواطف دافئة؛ فالخطاط المبدع كذلك إذ يقضي عمره بين (بكاء قلمه وضحكة قرطاسه) لديه أيضاً خيارات مشابهة؛ وذلك أن خط الثلث الجلي – بقوته وشموخه – يناسب النص القوي الشامخ، لذلك نجد أن معظم اللوحات القرآنية تخط به، وخط التعليق والشكستة – برقتهما وعذوبتهما – يتناغمان مع الموضوعات الشعرية بشكل عام، والديواني الجلي – بفخامتهما وأبهتهما – يصلحان لكتابة ما هو موجه إلى الشخصيات المرموقة، والنسخ والرقعة – لبساطتهما وسرعة أدائهما – يُناسبان المكاتبات اليومية السريعة ... وهكذا" (عثمان، بدون تاريخ)، فيظهر إذا أنه كما لبعض الموسيقى القدرة على أخذ مجامع قلوب مستمعيها يمكن القول أيضا إن لبعض لوحات الخط العربي القدرة على أخذ مجامع قلوب الناظرين إليها، وليس كل الناس طبعا يتذوقون الموسيقى والخط بأرواحهم.

– بناؤها على أصل هندسي ثابت، وقاعدة رياضية معروفة، وفي ذلك نجد أن لكل حرف قياسه، سواء بالنقطة أو بوحدات القياس المعروفة، أو بالزاوية والدرجة، أو بالنسبة الذهبية، كما في بعض حروف الخط المغربي (أنظر الصورة: ٩)، ولم يتحدد عند ابن مقلة جمال الحروف بإتقان قياساتها فقط، وإنما اشترط لإجادة الكتابة أُسسا معينة يتحقق من خلالها جانبان؛ أولهما صحة أشكال الحروف، ويشترط لذلك (التوفية والإتمام والإكمال والإشباع والإرسال)، وثانيهما صحة أوضاع الحروف، ويشترط لذلك (التوصيف والتسطير والتنصيل).

فالتوفية :إتمام شكل كل حرف وفق خصائصه الخطية، كالتقويس والانحناء والاستقامة.

والإتمام :مراعاة أبعاد الحرف من حيث الطول والحجم.

والإشباع :إظهار التوازن بين الدقة والغلظ باستخدام صدر القلم.

والإرسال :انسيابية حركة القلم دون تردد، مما يمنح الحرف روحًا نابضة.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

هذا عن الشرط الأول، أما عن الشرط الثاني:

فالترصيف :وصل الحروف المتصلة بشكل واضح ومتوازن.

والتأليف :تنسيق الحروف غير المتصلة بانسجام بصري دقيق.

والتسطير :ضبط انتظام الكلمات فوق السطر وعلاقتها به.

والتنصيل :حسن اختيار مواقع المدات داخل الحروف المتصلة

– سهولة الكتابة، حتى أن المستشرق ريتر، وهو أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة اسطنبول، يقول: "إن الكتابة العربية أسهل كتابات الدنيا وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح" (حسني، بدون تاريخ، ص. ٢١٩)، وربما لذلك كتبت بها لغات أخرى كثيرة منها: الفارسية، الكردية، الأوردية، الأذربيجانية، الكشميرية.

رابعا: تخصيص أقلام بأوصاف خاصة للكتابة، وقد تحدث التوحيدي عن أنواع الأقلام، وطرق بريها وقطعها، فذكر على لسان أحد أرباب المهنة أن "خير الأقلام ما استمكن نضجه في جرمه، وجف ماؤه في قشره، وقطع بعد إلقاء بزره، وصلب شحمه، وثقله حجمه" (بغدادي، ١٩٩٦، ص. ١٣٣)، ولم يفت علماء الخط أن يضعوا لكل جزء من القلم اسما خاصا به (أنظر الصورة: ١٠)، ويجدر بنا أن نذكر أيضا أن بعض الخطوط أخذت أسماءها من قياس القلم الذي كتبت به، كخط الثلث مثلا، بل إن المتأمل في مدى عناية الخطاطين المسلمين بالأقلام وبطرق بريها، وحتى بطريقة إمساكها ليعجب، فقد نظم الخطاط عبد القادر الصيداوى فى مسكة القلم: أرجوزة النسابة والوضاحة لأصول الكتابة، وقد جاء فيها (أنظر الصورة: ١١).

والأصل وضع القلم المبرى على أنملة الوسطى بذا قال الملا
وأن تضع أصبعك المسبحة على يمين الظهر فوق الفتحة
وأن تضع أنملة الإبهام على يسار الظهر باهتمامٍ
إن لكل أصبعٍ خاصية تعجز عنها أختها القوية
ولا تضعه فوق ظهر الوسطى ذلك ضعف منك لا يغطى.

ونكتفي بهذه الخصائص الفنية التي تميز الخط العربي، وتجلي ما يزخر به من جماليات حسية ومعنوية، ظاهرية وباطنية، انتبه لها العلماء المسلمون منذ القدم، ف "كان أبو حيان التوحيدي (توفي٤١٤هـ) أول من تحدث في جمالية وتقنية الخط، توضح ذلك في رسالة تحت عنوان (علم الكتابة) وهي من أقدم ما ألف بالعربية في هذا الفن، ولا يخفف من أهميتها ما ورد في الفهرست والرسالة وجامع محاسن كتابة الكتاب"(بهنسي، ١٩٧٩، ص. ١٢١)، وقد أجمع القول وأحسنه حين وضع شروطاً للخط الجميل، فقال في رسالته هذه: "والكاتب يحتاج إلى سبعة معان: الخط المجرد بالتحقيق، والمحلى بالتحديق، والمجمل بالتحويق، والمزين بالتخريق، والمحسن بالتشقيق، والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتفريق"(التوحيدي، بدون تاريخ)، وبعد أن

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

شرح كل هذه المفاهيم التشكيلية والجمالية معاً شرحاً مستفيضاً، ختم شروط الخط الجميل بشرط أساسي جامع، قال فيه: "هذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤاتياً، وفعله مواطئاً، وقريحته عذبة وطينته وطئة" (التوحيدي، بدون تاريخ)، وهو قول يتضح منه ارتباط جمال الخط العربي بصفاء نفس الخطاط، فكما يُنهى القاضي عن الحكم وهو في حال غضب أو جوع، يُستحب للخطاط ألا يكتب إلا وهو في حالة نفسية متزنة، طلبًا للإتقان وتجنبًا للقبح والرداءة، كما أشار التوحيدي.

المطلب الثالث: الأبعاد الجمالية للخط العربي

يمكن بالنظر إلى الخصائص الفنية التي عرضت لها في المطلب السابق أن أتحدث عن أبعاد جمالية تميز الخط العربي، وهي أبعاد تتقاطع معها مختلف الخصائص الفنية للخط العربي، وهي كالآتي:

– التوازن والتناسب: والأول "مفهوم انتقل إلى الفن ومنه إلى ميدان الخط العربي، وأصبح ضرورة يتطلبها الإحساس النفسي عند الإنسان لما يترتب على اللاتوازن من إثارة القلق أو التوتر النفسي" (داود، ٢٠٠٧، ص. ١٣)، بينما الثاني وسيلة تنظيمية تشير إلى علاقة كل جزء من أجزاء العمل الخطي الفني مع غيره بشكل خاص، ومع كل العمل بشكل عام، فهو إذا يضعنا دائما أمام "مقارنة الأحجام والمساحات والأطوال والمقاييس والمقادير" (داود، ٢٠٠٧، ص. ١٣)، كما يجعلنا نقف على مقاييس وقواعد الخط وننضبط لها بشكل حازم، يمكن القول إذا إن التوازن والتناسب بعدان جماليان أساسيان لابد للخطاط أن يستحضرهما في عمله الخطي الفني، لما لهما من أهمية في عملية توزيع الحروف والأشكال والمسافات بين الحروف والفراغات وتوظيفها بصورة منطقية تحقق التنظيم الجمالي في مكونات العمل الخطي الفني.

– المركزية والتمايز: أي وجود نقطة أو عنصر بصري محوري يجذب الانتباه، سواء عبر الحجم أو الشكل أو اللون أو الموقع. هذا العنصر يوجّه بقية عناصر اللوحة ويمنحها التوازن، إذ يشكّل مرتكزًا بصريًا يسهم في تنظيم النظر والانسجام العام. ويُفضل أن يكون هذا المركز واحدًا واضحًا، أو مهيمنًا إن تعددت المراكز، لتفادي التشتت البصري.

– النسق والإيقاع: يشكّل كل من النسق والإيقاع عنصرين جوهريين في جمالية التكوين الخطي. فالنسق يحقق الانسجام من خلال تنظيم الحروف والنقاط والكلمات والزخارف بتوزيع متوازن. أما الإيقاع، فيتجلى في مظاهر مثل التكرار، التماثل، التعاقب، والتباين، مما يمنح العمل الخطي حيوية بصرية تشبه انتظام اللآلئ في عقد فني منسجم. ويُعد حضور هذين العنصرين أساسياً لنجاح التصميم الجمالي للعمل الخطي.

– الوحدة والتكامل: وهما أمران يتحقق بهما بث روح التنظيم والانسجام بين جميع عناصر العمل الخطي الفني، فوجودهما ضروري في تحديد العلاقة بين الكليات والجزئيات على بينة كلية يجمعها جامع، وأي خلل في الوحدة والتكامل يسيء إلى العمل، ويخلق ذلك توترا دافعا نحو الإكمال والجمع، فالعمل الخطي الفني الجميل بدون وحدة وتكامل بين مجموع عناصره يبقى ناقصا يحتاج الإتمام، ولذلك يبدو الخطاط عدوا للفراغ، خاصة إذا كان هذا الفراغ من أسباب عدم الوحدة والتكامل.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الثاني: الخط العربي، الآثار الجمالية والواقع والآفاق.

المطلب الأول: الآثار الجمالية للخط العربي

استطاع الخط العربي بفضل ما يزخر به من جماليات أن يحقق آثارا عدة بلغت أفق التعبد لله به، والشعور بمحبته، لما له من الارتباط بالقرآن الكريم، فتحول بذلك من وسيلة يتحقق بها التدوين والتعبير إلى واقع خطي فني مضبوط بقواعد وأصول موزونة تحقق جمالا على مستوى الظاهر والباطن.

وقد أسهم جمال الخط العربي في انتشاره الواسع بين العرب وغيرهم، مما حفّز على تطويره والاعتناء به عبر الأجيال. ويعود الإقبال عليه لما يمنحه من حرية فنية ومعانٍ جمالية عميقة تُشبع الذوق الإنساني، وهو ما يجعل اهتمام الخطاطين به يتجدد باستمرار، ولا أبالغ إن قلت: إن لجماله قدرة على تحسين أخلاق المرء، وقد كتب الكردي في ذلك يقول: "إن الله تعالى لم يهب حسن الخط إلا لمن استكمل خلقا وخلقا، ولم نسمع قط بذي عاهة أصيلة تقلد هذه النعمة الجميلة فكان خطاطا أو فنانا، إذ في المثل المشهور "كل ذي عاهة جبار" وحاشا أن يكون من آتاه الله الحكمة وهو الخط على تفسير ابن عباس رضي الله عنهما جبارا غليظا، بل الشأن في كل من وهبه الله تعالى فنا من الفنون الجميلة التي منها: الخط .. أن يكون سليم الحواس حسن الخلقة وديع الأخلاق لطيف المعاشرة هينا لينا فطنا" (الكردي، بدون تاريخ، ص. ١٥١)، ولذلك فنسبة الأخلاق إلى أهل الخط معلومة في الغالب، والشاذ لا يقاس عليه، كما أن نسبة الارتياح النفسي عند قراءة النص المكتوب بخط واضح جميل أمر مؤكد، ويا كم من طالب لم تسعفه صحة جوابه في الاختبار في تحصيل الدرجات بسبب رداءة خطه، والعكس بالعكس، ولا شك أن سهولة القراءة وتوفير الوقت عندما يكون الخط واضحا سبب في تنمية مهارات القراءة، كما أن الخط من الفنون الجميلة الراقية التي تشحذ المواهب وتربي الذوق وتعلم النظافة والترتيب والتنظيم والتمعن ودقة الملاحظة والانتباه التأني والمحاكاة والموازنة ومراعاة النسب والصبر (وذلك حين تعلمه بكثرة الدربة والمران) إلى جانب رهافة الحس والتزود بالجمال.

إن للخط العربي آثارا جمالية عديدة، وربما كان له ذلك –إلى جانب ما ذُكر– بفضل ما له من خصائص الجمال المجردِ الموجود في غير المحسوسات، "فالحرف العربي بطبيعته يستوعب عناصر الرسم الفني، لما فيه من قوة الانسجام مع بعضه، وتناسق مجموعته الحرفية ذات الرشاقة والجمال الأخاذ، إذ إنه مستوحى من جمال الطبيعة، وما فيها من نبات دقيق وأغصان مورقة وألوان هادئة" (السائح، ١٩٨٠، بتصرف)، مما يجعله يحقق أعلى المراتب في التأثير الجمالي والإبداع الفني.

المطلب الثاني: واقع الخط العربي

يرى كثير من المتابعين لواقع الخط العربي اليوم أن حاله تغيرت، فبعد أن خلدته أوابد الحضارة الإسلامية فيما مضى، وازينت به أرجاؤها، نجده اليوم –حسبهم– قد انتهى به المطاف بأن أصبح مرهونا

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

لأشكال خالية من الروح الحياة، جعلت شراييه تتصلب وأوصاله تيبس فصار عليلاً، وصحة هذا القول من عدمه هو ما سأتبينه.

ولعل القراءة الأولية لواقع الخط العربي تضعنا أمام صورة مفادها أن الخط العربي اليوم يعاني من هيمنة الخطوط الحاسوبية الحديثة التي يظن البعض أنها بديل كافٍ، مما جعله ضحية للتقنية المعاصرة. غير أن المشكلة الحقيقية تكمن في غياب الذوق الفني السليم الذي يميز جمال الخط الأصيل. فالخط الجميل لا يُنتج بآلات جامدة، بل بروح الخطاط وإحساسه الفطري بالجمال، وهو ما لا توفره الوسائل التقنية مهما بدت فعالة أو سريعة، ولذلك ف "دخول الإعلاميات من الحاسوب والانترنيت وآليات الكتابة السريعة إلى حياتنا الثقافية، أكسبتنا سرعة في الخدمات الكتابية، نعم ! ولكنها سلبتنا – بالتدريج– حماسنا في الكتابة اليدوية وفي التخطيط، وجعلتنا زاهدين في قراءة ما أنتجته حضارتنا من التراث المخطوط"(أقا و المغراوي، بدون تاريخ، ص. ٧١، بتصرف)، وهذا أمر مشاهد ومؤكد، وربما كان ذلك سببا في أن كثيرا من خطاطي عصرنا الحالي قد فقدوا أو ضعف عندهم عنصر الابتكار والتجديد في فن الخط العربي.

وأما إذا أمعنا النظر في تردي مستوى الخطوط العربية في العديد من المؤسسات التعليمية، فإن الأمر يدعو إلى القلق، وقد يكون السبب غياب الاستقرار المادي والمعنوي الذي يولد الإبداع، والبعد عن الهوية العربية والإسلامية وعدم التمسك بهما.

لكن طائفة أخرى من الناس ترى عكس ما تقدم، ففي حوار أجراه الصحفي ياسين بودهان مع الخطاط الجزائري محمد بن سعيد شريفي وهو خطاط معروف بكتابته للمصحف الشريف، وبتصميم العملات النقدية الجزائرية، وبتتلمذه على أيدي كبار الخطاطين المصريين والأتراك، وحيازته العديد من الجوائز والتكريمات محليا وعربيا، يذكر أن "الخط العربي لا يعيش أزمة مثلما يروج له البعض، وعلى العكس من ذلك يرى أن هذا الفن على غرار باقي الفنون الإسلامية حاضر وبقوة" (شريفي، بدون تاريخ)، وربما كان هذا القول تعبيرا عن حجم حضور الخط العربي اليوم من حيث الكم لا من حيث الكيف في بعض الجوانب، فالناظر إلى عدد المسابقات والدورات والملتقيات وسائر الفعاليات والأنشطة التي تعنى بالخط يرى حضورا وقوة، لكنها لم تعالج تردي الخط عند العامة و لا ندرة الإنتاج الإبداعي عند الخاصة؟ وقد اعترف شريفي بذلك في سؤال له عن تطور الخط العربي في مناهجه وجماله عند الخاصة فقال: "في الحقيقة، الجيل القديم تفوق علينا كثيرا بفضل تخصصه في هذا الإبداع، مع ذلك أقول اليوم هناك شباب.. سواء في المشرق أو المغرب ينهجون منهجا واعدا بحول الله" (شريفي، بدون تاريخ).

المطلب الثالث: آفاق الخط العربي

لا شك أن اعتبار الخط العربي أحد عناصر هويتنا الفنية والثقافية والحضارية يستدعي منا تذوق جمالياته، وتغذية أبصارنا وبصائرنا بقيمته وأهميته، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بتضافر الجهود انطلاقا

من إدماج الخط العربي في مؤسساتنا التعليمية ومرورا بتوظيفه في شتى مناشطنا الفنية والثقافية والعلمية وانتهاء بجعله لبنة مهمة في صرح بينان المجتمع.

إن الخط العربي سيظل رغم كل شيء متميزا ومتألقا بقيمته الحضارية وأبعاده الفنية الجمالية، ولا شك أن ما تزخر به الخزانات العربية من مخطوطات ووثائق – يعبر مضمونها الفني الجمالي عن رقي القيم الحضارية والفنية التي تحفل بها الأمة– لمحفز كبير على النهوض بالخط ليعود له دوره، وما نشهده اليوم من استثمار عدد كبير من الخطاطين والفنانين التشكيليين والحرفيين المهنيين للخط العربي وتوظيفه بإمكاناته غير المحدودة للعطاء والإبداع في تشكيل أعمالهم الفنية وصناعاتهم الزخرفية ونقوشهم البديعة سواء على الخشب أو على الجبس أو على الحجر أو على المعادن أو غيرها لخير شاهد على القدرة الكبيرة التي يمكن للخط العربي أن يجود بها في طريق سير الأمة نحو شهودها الفني والثقافي والعلمي والحضاري.

خاتمة:

سلط البحث الضوء على فلسفة الخط العربي وجمالياته، مُبرزًا مكانته كفن تعبيري عميق يجمع بين الجمال والهُوية الحضارية، وأداة معرفية وتعبيرية ذات أبعاد روحية وثقافية.

ويدعو البحث إلى ضرورة إحيائه وتطويره ليواكب العصر دون أن يفقد أصالته.

النتائج:

الخط العربي نظام جمالي متكامل، يتجاوز كونه أسلوبًا للكتابة إلى كونه فنًا قائمًا على أسس هندسية وروحية.

تنوع الخطوط يعكس مرونة الحروف العربية ويمنح مساحات للإبداع اللامحدود.

الخصائص الفنية كالانسجام والتناسب والإيقاع تمنح الخط عمقًا بصريًا وروحيًا.

للخط العربي أثر تربوي ونفسي، يُسهم في تهذيب الذوق وتنمية الحس الجمالي.

رغم التحديات التقنية، لا يزال الخط العربي حيًّا ويتجدد على يد فنانين معاصرين.

التوصيات:

إدراج الخط العربي ضمن المناهج التعليمية في مختلف المراحل لتعزيز الهُوية الجمالية.

تشجيع الأبحاث الأكاديمية متعددة التخصصات حول الخط وجمالياته.

توظيف الخط العربي في الصناعات الإبداعية والثقافية كوسيط فني معاصر.

دعم الخطاطين الناشئين بإنشاء حاضنات فنية ومنصات رقمية تراعي الخصوصية الجمالية.

نشر الوعي المجتمعي بأهمية الخط العربي من خلال الفعاليات والمسابقات والمعارض.

قائمة المراجع :

١. أقا، ع. والمغراوي، م. (بدون تاريخ). الخط المغربي: تاريخ وواقع وآفاق .
٢. التوحيدي، أ. ح. (بدون تاريخ). رسالة في علم الخط. مخطوطة محفوظة بمكتبة فيينا، نسخة بجامعة القاهرة .
٣. الزهاوي، خ. (١٩٨٦). تشكيلات الخط العربي. مطبعة أوفسيت سعيد، بغداد .
٤. السائح، ح. (١٩٨٠). عبقرية الخط العربي. مجلة دعوة الحق، العدد ٥، السنة ٢١ .
٥. الكردي، م. ط. (بدون تاريخ). تاريخ الخط العربي وآدابه .
٦. بغدادي، م. (١٩٩٦). موسيقى الخط العربي عند أبي حيان التوحيدي. فصول. مجلة النقد الأدبي، المجلد: ١٥، العدد: ٠١.
٧. بهنسي، ع. (١٩٧٩). جمالية الفن العربي. سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: ١٤.
٨. حسني، إ. (بدون تاريخ). التلامس الحضاري الإسلامي – الأوروبي.
٩. داود، ع. ب. (٢٠٠٧). البعد التعبيري في الخط العربي. مجلة حروف عربية، العدد ١٩.
١٠. شريفي، م. (بدون تاريخ). حوار صحفي مع محمد شريفي .https://www.aljazeera.net .
١١. عبد الحسين، ن. م. (٢٠١٧). الخط الكوفي نشأته وتطوره. أطروحة بكالوريوس، جامعة القادسية.
١٢. عثمان، ع. ش. (بدون تاريخ). علاقة الخط العربي بالأدب والموسيقى.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

تم الاسترجاع من http://hibastudio.com/calligraphy-and-music/.

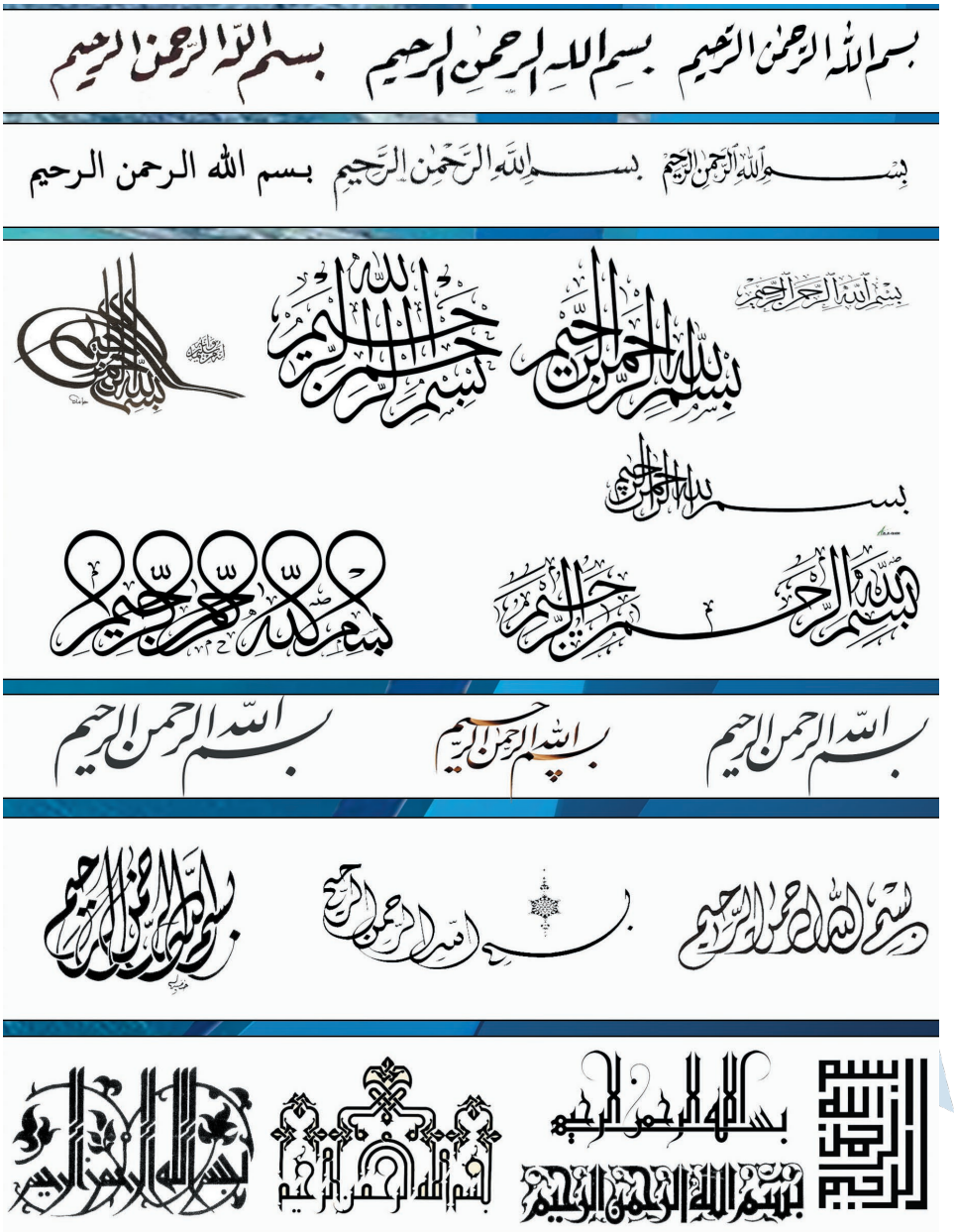

صورة ١

صورة ٢

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

صورة ٣ و ٤

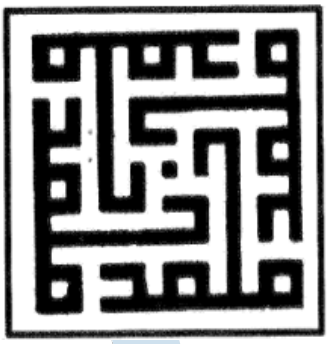

صورة٥: خط كوفي تربيعي يضم كلمة "محمد" مكررة أربع مرات.

صورة٦: خط كوفي تربيعي يضم جملة متناظرة "لا غالب إلا الله" من أعلى ومن أسفل

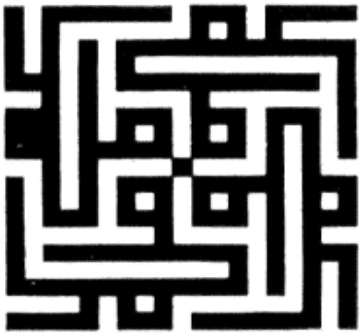

صورة٧: خط كوفي تربيعي يضم كلمتين مكررتين أربع مرات وهما بالأسود"محمد" وبالأبيض"علي"

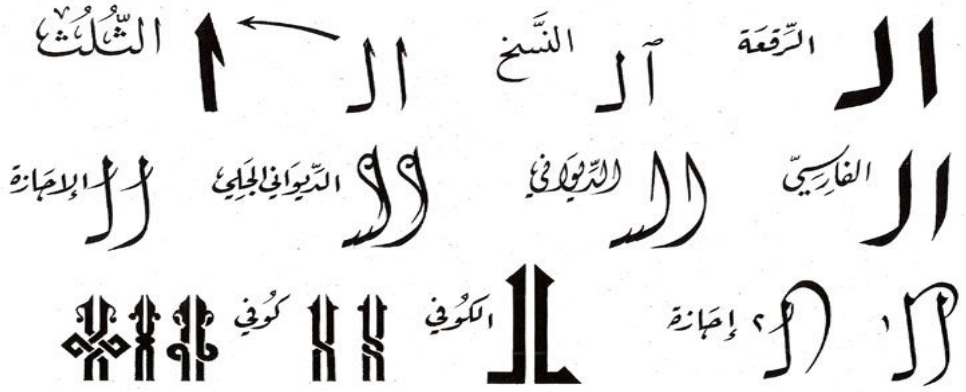

صورة٨: الألف واللام ورقتهما أو غلضهما في الكتابة بحسب نوع الخط.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ١ (أذار ٢٠٢٦)، ص: ١٥٢ - ١٦٧
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

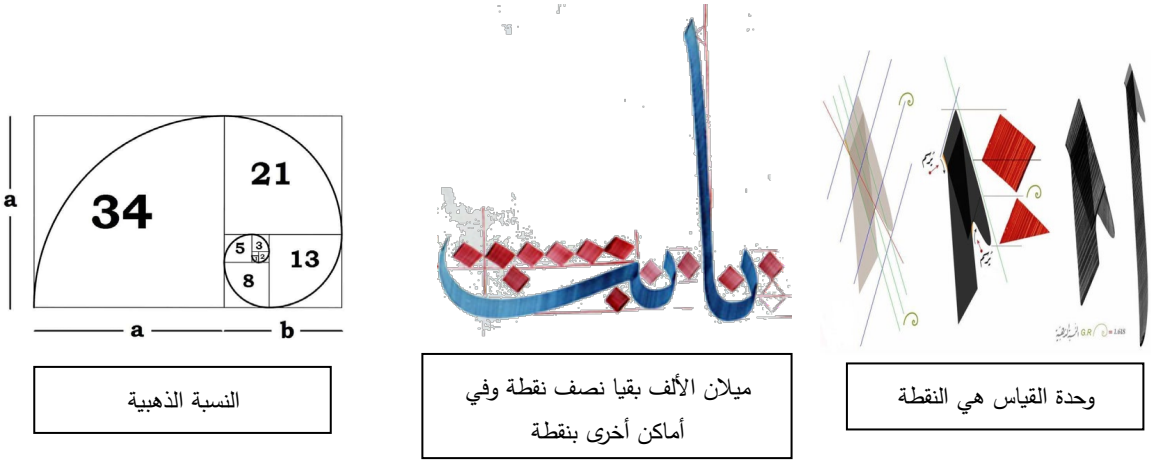

صورة٩: نماذج تظهر أن الكتابة بالخط العربي لها قواعد وقياسات ونسب محددة

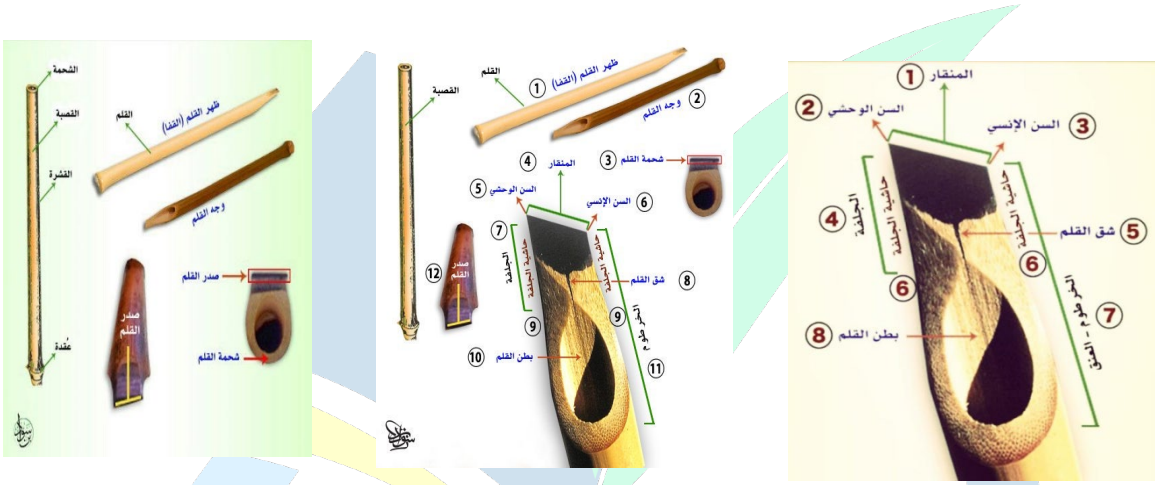

صورة١٠: أسماء الأجزاء المكونة للقلم

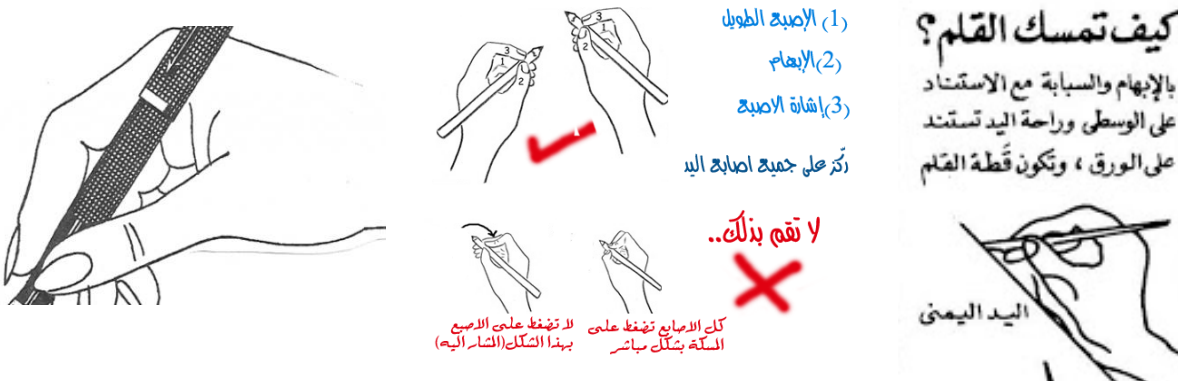

صورة١١: طريقة إمساك قلم الخط العربي